

اللغة العربية ولهجاتها (دراسة وصفية تاريخية)

عبد الملك

جامعة سبلاس مارت الحكومية سوراكرتا

abdul_malik@staff.uns.ac.id

التجريد

سوف تبحث المقالة عن لهجات اللغة العربية والأسباب التي تدفع إلى ظهورها تاريخياً. يبدأ التحليل بالدراسة في النظرية حول تطور اللغة بوجه عام واستخدامها عند كثير من الناطقين حتى يشق عليها أن تستقر على صورتها الأصلية، وهذا لأنها لن تخلو عن الفروق الفردية الفذية من كل ناطق. وفي دوره تطورت الفروق الفردية وانتشرت في بيئة الناطقين من مناطق معينة فأصبحت لهجة لكل منطقة. وفيما يلي، تطورت الخصائص الموجودة في كل لهجة فزاد الاختلاف بين لهجة وأخرى ولا يمكن فهمها بشكل جيد إلا عند الناطقين بها.

ثبتت مواصلة البحث إلى الدراسة في الظواهر اللغوية عن الإحتكاك والتنافس بين عدد من اللهجات العربية. كان في العصر الجاهلي، انتصرت لهجة قبيلة قريش على اللهجات الأخرى من سبب تأييد العوامل الدينية والإقتصادية والسياسية واللغوية. وبعد ذلك سيأتي البيان عن آراء الخبراء اللغويين في تعيين الحد بين اللغة واللهجة في علاقتها بحالة التشابه والتقارب في العلامات اللغوية السائدة بين لهجتين أو أكثر. وستختم المقالة بتقديم الأمثلة من العبارات في اللهجات العربية مع ذكر العلامات من كل لهجة مؤسسا على علاقتها ومقارنتها باللغة العربية الفصحى.

الكلمات الأساسية : اللهجات العربية، التنافس، الفروق، العلاقة بين اللهجة واللغة.

المقدمة

إن لغة ما إذا انتشرت في مناطق شتى واستخدمها كثير من الناس في اتصالهم، يشق عليها أن تحتفظ بوحدها الأولى احتفاظاً تاماً، بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات. وتتطور كل لهجة من هذه اللهجات حتى تبلغ ميزتها التي تدفعها إلى منهج يختلف عن منهج غيرها. ولا تنفك مسافة الاختلاف تتسع بينها إلى أن تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها. واللغة العربية بعد انتشارها في أنواع البقاع، شرعت تتشعب إلى لهجات يختلف بعضها

عن بعض في مظاهر متنوعة حتى لا يمكن للناطقين بلهجة أن يفهموا لهجة أخرى يتكلم بها الناطقون غيرهم إلا بعد بذل الجهد في الإهتمام.

والدراسة في اللهجات دراسة واسع بحثها كثير تفرّقها سريع تطوّرها وتغيّرها. هناك موادّ متعددة، فكلما وصلت إلينا مادة وسعينا إلى إتمام البحث عنها، توالى بعدها أخواتها تُغيّر قضية المادة الأولى. ومن أجل ذلك، لا أقدم هنا بحثا شاملا عن اللهجة، وإنما أحاول على كتابة مقالة موجزة أصف فيها جزءا من دراسة لهجات اللغة العربية. والجزء يحتوي على تعريف اللهجة (العربية) وأسباب ظهورها وأوسع اللهجات استخداما، ثم تعيين حدود الفروق اللهجية والعلاقة بين اللهجة واللغة، ولمحة سريعة عن أصول لهجات اللغة العربية ومقارنة أمثلتها.

اللهجة (العربية)

تعريفها وأسباب ظهورها وأعمّ اللهجات استخداما

اللهجة لغة من لهج بالشيء بمعنى أغري به فتأثر عليه. ومنه ألَهَجَ بالشيء يعني أولع به ولزمه. واللهجة : اللسان أو طرفه، يقال فلان فصيح اللهجة. والهاج الشيء: اختلط بعبه بيبعض. ولهوج الأمر : لم يحكمه ولم يبرمه (لويس معلوف، 1986 : 735).

وكذلك من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج كلاهما أولع به واعتاده وألهجته به ويقال فلان ملهج بهذا الأمر أي مولع به. واللهجة واللهجة طرف اللسان واللهجة جرس الكلام والفتح أعلى ويقال فلان فصيح اللهجة. واللهجة اللسان وقد يحرك وفي الحديث ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر (مكرم ابن منظور، بدون سنة : 359).

فمن حيث اللغة وجدنا معنى اللهجة يرتبط وثيقا بالعادة واللسان وعدم التحكم (أي من نظرة علم اللغة يمكن أن نقول عدم وجود القواعد الثابتة).

وهناك تعاريف شتى للهجة اصطلاحا، منها:

1. الطريقة التي يتكلم بها الناس اللغة وكثيرا ما تدلّ على انتماء جغرافي أو اجتماعي أو ثقافي (علي الخولي، 1982 : 83).
2. النوع اللغوي الذي يتكلم به الأفراد في منطقة ما ويختلف عن غيره من الأنواع اللغوية الأخرى بالميزات في المفردات والقواعد والأصوات. ويصلح لعدد من

اللهجات أن تكون لغة (Webster's New Encyclopedic Dictionary، 2002 : 501).

3. لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها (لويس مألوف، 1986 : 735).
 4. لغة الإنسان التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها الجوهري (مكرم ابن منظور، بدون سنة: 359).
 5. مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة (إبراهيم أنيس، 1965 : 16).
- إن نستطيع أن نقول أن اللهجة تكاد أن تشبه باللغة في التعريف الإصطلاحي، غير أنها لم تبلغ المستوى اللغوي وأن فروقها ما زالت تكون في ضوء لغة واحدة.

ظهرت اللهجة من سبب كثرة المتكلمين بلغة فجاءت كل منطقة فيها أفرادها بالطريقة الفذية من استخدام اللغة والتلفظ بها. إن من المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت لغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الإحتفاظ بوحدها الأولى أمدا طويلا، فلا تلبث أن تنتشعب إلى عدة لهجات (عبد الواحد وافي، بدون سنة : 108). واللغة العربية لا تخلو عن هذا الحال القانوني. فمن أول عصرها قد انقسمت هذه اللغة إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات.

غير أنه حدث الإحتكاك والصراع بين اللهجات من سبب المعاملة والإنضمام. وتلاقت القبائل العربية - ومع أفرادها لهجتهم - بجيرانها القريبة والبعيدة عند التجارة في الأسواق القومية وموسم الحج حتى عند الحروب الأهلية. وقُضي الأمر أن النصر فيه للهجة قریش فغلبت على سائر اللهجات الأخرى في المحادثة، واستأثرت بميادين الأدب شعرها تخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية.

أما العوامل الأساسية التي دفعت إلى غلب لهجة قریش (عبد الواحد وافي، بدون سنة : 109) فهي:

1. عامل ديني. كانت قريش جيرة البيت الأدنين، يسكنون حوله ويقومون بحرسه، وكان البيت حرماً مقدساً عند أغلبية القبائل العربية في العصر الجاهلي، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم ويزوروا أصنامهم ويقدموا لها القرابين ويشهدوا منافع لهم.
2. عامل اقتصادي. إن الموقع الجغرافي من هذه القبيلة تمكنها من أن تكون مركزاً للتجارة. فكان منهم تجار ينتقلون بتجاريتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية من الشام شمالاً إلى أقاصي اليمن جنوباً، ويقومون في مختلف الفصول برحلات تجارية منظمة أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.
3. عامل سياسي. أخذ العاملان السابق ذكرهما يساعدان قبيلة قريش في أن تمتاز من سائر القبائل بالحضارة والقوة الاجتماعية وفضل النفوذ، فثبتت لهم القوة السياسية.
4. عامل لغوي. إضافة إلى ذلك كله أن لهجة قريش كانت أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة وأرقها أسلوباً، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول. وهذا بفضل ما أتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض.

حدود الفروق اللهجية والعلاقة بين اللهجة واللغة

ذهب بعض العلماء إلى أنه لا توجد حدود فاصلة واضحة بين لهجة وأخرى، أو بينها وبين اللغة المشتركة التي تنتمي إليها تلك اللهجة (أبو تواب، 1999 : 71). واحتجوا على أن ميزة لهجة لا تبلغ مستوى التحديد والتفريق بينها وبين أخواتها حيث يقدر الناطقون بها على التفاهم، وهذا التفاهم لا يمكن أن يحصل عليها الناطقون بلغتين مختلفتين. وذهب بعض العلماء الآخرين إلى أماكن تقسيم الفروق اللهجية بحجة أن الخصائص والسمات المعية في لهجة سوف تختلف عنها في أخواتها ولو بصورة ضئيلة.

فتقسيم الفروق اللهجية يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، إحساس بأنهم يتكلمون بصورة ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور. إذن، لا نحتاج إلى إطالة الكلام فيه. والمهم في مسألة التفرقة اللهجية أن كل ناطق بلهجة يحس في أعماقه أن لسانه هو اللسان المستقيم، وأن لهجته هي اللهجة المعتدلة، وما عداها فهو انحراف عن الصواب (عبد الصبور شاهين، 1984 : 170).

والأمر الأدق ينبغي الإهتمام به هو مسألة معرفة الحدود اللهجية بين لهجة وأخرى. إن لكل فرد فروق في التلفظ بين متكلم وآخر، وهذه الفروق الفردية (idiolect) قد تنتشر في إقليم معين لتصبح طابعا يميز لهجته عن سائر الأقاليم المجاورة (Samsuri، 1991 : 17-18).

أما العلاقة بين اللهجة واللغة فهي علاقة الخاص بالعام، لأن بيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللغات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فاللغة عادة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات (أبو تواب، 1999 : 72).

لهجات اللغة العربية؛ أصولها ومقارنة أمثلتها

ومن المعلوم أن الأمة العربية تألفت من شعبين عظيمين : القحطانيين (اليمنيين) والعدنانيين (النزاريين). وتشعب من كليهما شعوب وقبائل ولهجات مختلفة الفروع متحدة الأصول غير أن لغة حمير من القحطانيين غلبت على أخواتها، ثم دخل فيها من اللغة العدنانية ألفاظ وأساليب اختلفت قلة وكثرة باختلاف الجهات، وعمرت حتى ظهور الإسلام، وزالت وبقيت منها ألفاظ امتزجت بالعدنانية (أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، 1916 : 13).

وينبغي الإهتمام بأن اختلاف البيئة وتنوع طرق المعيشة والمعاملة وحال الثقافة والحضارة من تقدمها أو تأخرها عند قبيلة كل أبقى في كلامها مجموعة من الميزات تسمى بلهجة القبيلة، وهي لسانها المراعى فيه الترقيق والتفخيم، والهمز والتلين، والسرعة والبطء، والوصل والقطع، والإمالة وعدمها، وغير ذلك من النبرات الصوتية. وتتحصر طرق الاختلاف بين اللهجات العربية (أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، 1916 : 13-14) فيما يلي :

1. الإبدال، مثل إبدال الميم باء والباء ميمافي لغة مازن، فيقولون بالسمك في ماسمك، ومكر في بكر.
2. أوجه الإعراب، مثل نصب خبر ليس عند الحجازيين مطلقا، ورفع عند تميم إذا اقترن بإلا حملا لهما على مثل "ليس الطيب إلا المسك".

3. أوجه البناء والبنية، مثل تسكين شين عشرة عند الحجازيين وفتحها وكسرها عند تميم، ومثل بناء الهاء من أيها على الضم عند بني مالك من بني أسد إذا لم يلها اسم إشارة فيقولون يا أيُّه الناس، وبنائها على الفتح ووصلها بالألف عند غيرهم (يا أيها الناس).
 4. التردد بين الإعراب والبناء، مثل إعراب "لدن" عند قيس بن ثعلبة وبنائها عند غيرهم.
 5. التصحيح والإعلال وما يشبههما، مثل إعلال الأفعال الثلاثية التي من باب علم كرضي وبقي عند طيء بقلب يائها ألفا وكسرتها فتحة فيقولون رَضَى وبَقَى وغيرهم يصححها، وكقلب الألف المتطرفة همزة عند تميم مثل العلاء في العلى وغيرها يبقيها على حالها.
 6. الإتمام والنقص، مثل حذف نون من الجارة عند خثعم وزبيد إذا وليها ساكن وإبقائها عند غيرهم، فيقولون في خرجت من البيت "خرجت ملبيت" كلغة العامة بمصر.
 7. الإدغام والفاك، مثل فك المثليين في المضارع المجزوم بالسكون المضعف عند الحجازيين مثل "إن يغضض طرفه فاغضض طرفك"، وإدغامها عند تميم مثل "إن يغضض طرفه فغضض طرفك".
 8. الترادف. هناك أنواع من الأمثلة لهذه الطريقة، كعبارة "ما أعرفش" عند المصريين و"ما أدري" عند السعوديين الدالة على نفس المعنى (محمد داود، 2001 : 63).
- ولكل لهجة من اللهجات العربية مظهر العلامة أو أكثر، ومن أشهر المظاهر (أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، 1916 : 14-15) هي :

1. عججة قضاة وعمغمتها، وهي تحويل الياء جيما إذا وقعت بعد العين فيقولون الراجح خرج معج يريدون الراعي خرج معي. ويراد بالعمغمة عدم تمييز حروف الكلمات وظهورها أثناء الكلام.
2. شنشنة اليمن وتتمهم، وهي جعل الكاف شينا مطلقا كلبيش و شلمني في لبك وكلمني. والوتم جعل السين تاء فيقولون النات في الناس.
3. طمطمانية حمير، وهي جعل أم بدلا من أل فيقولون "طاب امهواء" في "طاب الهواء".

4. ثلثة بهراء، وهي كسر أحرف المضارعة مطلقا مثل يَكْتُبُ و يشرب.
 5. فحفحة هذيل، وهي جعل الهاء عينا مثل "العسن أخو العسين" في "الحسن أخو الحسين".
 6. عنعنة تميم، وهي إبدال العين من الهمزة المبدوءة بها فيقولون في أن، عن، وفي أمان، عمان.
 7. كشكشة أسد أو ربيعة، وهي إبدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كعليش في عليك، أو هي زيادة شين بعد الكاف المكسورة مثل عليكش في عليك، وأشهر ما يكون ذلك في الوقت.
 8. وهم كلب، وهو كسر هاء الغائب إذا وليها ميم الجمع وإن لم يكن قبلها ياء ولا كسرة، فيقولون منهم وعنهم وبينهم.
 9. وكم ربيعة كلب، وهو كسر كاف الخطاب في الجمع إذا كان قبلها ياء أو كسرة فيقولون عليكم وبكم. وكتب بطن من قضاة.
 10. لخلخانة الشحر وعمان، كقولهم مشا الله في ماشاء الله.
 11. قطعة طيء، وهي حذف آخر الكلمة، يقولون "يا أبا الحكا" يريدون "يا أبا الحكم".
 12. استتطاء سعد بن بكر وهذيل وأزد وقيس والأنصار، وهي جعل العين الساكنة نونا إذا جاوزت الطاء مثل أنطى في أعطى.
- هناك مظاهر العلامة الأخرى تعادل اشتها مظاهر العلامة المذكورة سابقا (عبد الواحد وافي، بدون سنة : 124-126)، ومنها :

1. إبدال الهمزة هاء أحيانا في لغة طيء، فيقولون "لهنك" بدلا من "لأنك".
 2. كسكسة ربيعة، وهي إلحاق سين بكاف المخاطب المذكر أو استبدالها بها في حالة الوقف للفرقة بين المذكر والمؤنث، كقولهم "عليكس" مكان "عليك".
 3. وجود صوت بين القاف والكاف والجيم في كثير من لهجات اليمن.
 4. وجود صوت بين الشين والجيم والياء في بعض اللهجات.
 5. إلحاق صوت القاف بالهاء حتى يغلط فيقرب من صوت الكاف عند بني تميم.
- وبهذه اللهجة ورد قول شاعرهم "ولا أكول لكدر الكوم مكفول" أو "ولا أجول لجدر الجوم مكفول" (غير معطشة) بدلا من "ولا أقول لقدر القوم مكفول".

6. فتح باء الجر وكسر لامه في حالة جرهما لضمير المفرد الغائب في لغة قضاة، فيقولون "مررت به" و"المال له".
 7. إبدال الهمزة التالية لهمزة الإستفهام هاء مع مد همزة الإستفهام أو عدم مدها، مثل أهنرتههم أو أهنرتههم لمراد أننرتههم.
 8. إدغام الصوتين المتحددين في المخرج أو المتقاربين فيه إذا تجاوزا مثل سلكم واتختم في سلككم وأتخذتم.
 9. إبدال ياء الذين واوا في حالة الرفع في لغة هذيل.
 10. إبقاء ألف هذان وهاتان في حالتي النصب والجر في لغة بني الحارث بن كعب، فقرأء عندهم "إن هذان لساحران".
 11. الوقوف على المنون بالسكون في حالة النصب في لهجة ربيعة، فيقولون "رأيت محمد" في حالة الوقف.
 12. عدم أعمال "ما" في لغة تميم، فيقال "ما محمد قائم".
- هناك أمثلة أخرى كثيرة و قضايا أخرى متنوعة للهجات العربية، لا يمكن تدوينها جميعا. ومن أراد أن يعرفها بالدقة فعليه أن يقوم بمطالعة الكتب والمصادر في فقه اللغة وعلم اللغة (Hassanain, 2012; Asyawah, 2006). ويليها، سبق البيان أن لهجة قريش غلبت على غيرها من اللهجات العربية وانتشرت على ألسنة جميع القبائل في المحادثة وقضت على لهجاتهم الأولى (Fuad, 2011). غير أنه بقي لأفراد كل قبيلة في ميدان المحادثة من لهجتهم القديمة بعض آثار ضئيلة، ونال القرشية في ألسنتهم بعض التحريف تحت تأثير لهجتهم الأولى وعادتهم الأصلية في النطق. فلذلك اختلفت لهجات المحادثة العربية حسب اختلاف القبائل، بل قد يؤدي الاختلاف إلى اختلافهم في قراءة القرآن.

الخاتمة

انطلاقا مما سبق البيان عنه، يصلح تقديم الخلاصة كما يأتي :

1. إن اللغة – اية لغة كانت – لا تخلو عن الفروق الفردية من ناطقها. وهذه الفروق كثيرا ما تنتشر فتصبح طبيعية عند الناطقين في منطقة معينة وتصير لهجتهم.

2. كانت لهجة قريش أعمّ اللهجات استخداماً في اللغة العربية لأنها تغلب على غيرها من سبب قوة العوامل المدافعة لها، وهي العامل الديني والعامل الإقتصادي والعامي السياسي.
3. ترجع مسألة الفروق اللهجية إلى إحساس حقيقي. فليس هناك لهجة أشرف من اللهجات الأخرى، وإنما تتسع اللهجة حسب كثرة استخدامها وغلبها في الإحتكاك.
4. يمكن تلخيص طرق الاختلاف بين اللهجات العربية في الإبدال، وأوجه الإعراب، وأوجه البناء والبنية، والتردد بين الإعراب والبناء، والتصحيح والإعلال وما يشبههما، والإتسام والنقص، والإدغام والفتك، والترادف.
5. من أبرز مظاهر اختلاف اللهجات هي في الأصوات والقواعد وبنية الكلمات وأوزانها والمفردات.

المراجع

- ابن منظور، محمد بن مكرم. (بدون سنة). *لسان العرب*، الجزء الأول، الطبعة الأولى. بيروت: دار صادر.
- أبو تواب، رمضان. (1999). *فصول في فقه العربية*، الطبعة السادسة. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الأشوح، صبري. *القرآنية في اللهجات العربية*. القاهرة: دار غريب.
- أنيس، إبراهيم. (1965). *في اللهجات العربية*. القاهرة: دار غريب.
- داود، محمد محمد. (2001). *العربية وعلم اللغة الحديث*. القاهرة: دار غريب.
- السيد، فؤاد صالح. (2006). *السياسيين المتقنين في التاريخ*. المنهل.
- شاهين، عبد الصبور. (1984). *في علم اللغة العام*، الطبعة الرابعة. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عناني، أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى. (1916). *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه*. مصر: دار المعارف.
- مألوف، لويس. (1986). *المنجد في اللغة والأعلام*، الطبعة الثامنة والعشرون. بيروت: دار المشرق.
- وافي، علي عبد الواحد. (بدون سنة). *فقه اللغة*، الطبعة السابعة. القاهرة: دار النهضة.

- Hassanein, A., El Seoud, D. A., & Yehia, H. (2012). *Uktub al-'arabiya: advanced writing skills in modern standard Arabic*. Amer Univ in Cairo Press.
- Al-Khuli, Muhammad Ali. (1982). *A Dictionary of Theoretical Linguistics; English-Arabic With an Arabic-English Glossary*. Lebanon: Libraire du Liban.
- Samsuri, *Analisis Bahasa*. (1991). Malang: Erlangga.
- Webster's New Encyclopedic Dictionary. (2002). United States of America: Meriam-Webster, Incorporated.